

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى

١٤

سعيد

بن عامر

فاطيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ١٤

سعيد بن عامر

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

مكتبة مكتبة مصر
شارع كامل صدق - الفجالة

ت: ٥٩٠٨٩٢٠

سعيد بن عامر

زِينَةُ وَفَرَحُ طِفْلَتَانِ لَطِيفَتَانِ تُحْبَانِ اللَّعِبَ ، كَمَا
تُحْبَانِ النَّظَافَةَ وَالنِّظَامَ ، فَهُمَا تَعْتَنِيَانِ بِمَلَابِسِهِمَا ، فَهِيَ
نَظِيفَةٌ دَائِمًا ، وَلَعِبُهُمَا مُنَظَّمٌ مُرْتَّبٌ . وَلِذَلِكَ كَانَ
وَالِدَاهُمَا سَعِيدَيْنِ بِسُلُوكِ الطِّفْلَتَيْنِ ، لَوْلَا صِفَةُ وَاحِدَةٍ
تُعِيْبُهُمَا ، هِيَ الْكِبَرُ وَالِاسْتِعْلَاءُ عَلَى النَّاسِ .

وَفِي أَحَدِ الْيَامِ ، نَزَلَتْ زِينَةُ وَفَرَحُ لَتَلْعَبَا فِي حَدِيقَةِ
الْمَنْزَلِ مَعَ صَدِيقَاتِهِمَا ، وَانْدَمَجْنَ جَمِيعًا فِي اللَّعِبِ
وَالْمَرَحِ ، وَفِيمَا هُنَّ يَلْعَبْنَ ، أَقْبَلَتْ سَيِّدَةُ ابْنَةِ الْعَمِّ أَحْمَدَ
الْبَوَّابِ ، وَطَلَبَتْ أَنْ تَلْعَبَ مَعَهُنَّ . فَانْسَحَبَتِ الطِّفْلَتَانِ
زِينَةُ وَفَرَحُ فِي هُدُوءٍ ، وَصَعِدَتَا إِلَى شَقَّتَيْهِمَا . فَسَأَلَتْهُمَا
أُمُّهُمَا : مَاذَا جَاءَ بِكُمَا ، وَلِمَاذَا تَرَكْتُمَا صَدِيقَاتِكُمَا ؟
هَلْ تَعِبْتُمَا مِنَ اللَّعِبِ ، أَوْ تَشْعُرَانِ بِالْجُوعِ فَتُرِيدَانِ
الْغَدَاءَ ؟

رَدَّتْ زِينَةً فِي كِبَرٍ وَاسْتِعْلَاءٍ : لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ ،
وَلَكِنَّ سَيِّدَةً انْضَمَّتْ إِلَيْنَا فِي اللَّعِبِ ، فَخَشِينَا عَلَى
مَلَابِسِنَا أَنْ تَتَسَخَّ .

اسْتَأْتَتْ أُمُّهُمَا وَقَالَتْ : وَمَا الْعَيْبُ فِي سَيِّدَةٍ ، وَمَا
عَلَّاقْتُهَا بِمَلَابِسِكُما ؟ فَسَيِّدَةُ طِفْلَةٍ عَزِيزَةُ النَّفْسِ ،
تَحْرِصُ عَلَى نِظَافَةِ مَلَابِسِهَا دَائِمًا .

قَالَتْ فَرَحٌ : وَلَكِنَّهَا فَقِيرَةٌ ، يَظْهَرُ الْبُؤْسُ عَلَيْهَا .
غَضِبَتْ أُمُّهَا وَقَالَتْ : الْفَقْرُ لَيْسَ عَيْبًا يَا ابْنَتِي ،
وَلَيْسَ مَعْنَى أَنَّكَ أَكْثَرُ مِنْهَا مَالًا ، أَنَّكَ أَفْضَلُ مِنْهَا ؟
قَالَتْ فَرَحٌ غَاضِبَةً : كَيْفَ تَقُولِينَ يَا أُمِّي أَنَّهَا أَفْضَلُ
مِنِّْي ؟

قَالَتْ أُمُّهَا : أَلَمْ تَسْمَعِي حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، الَّذِي يَقُولُ فِيهِ : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ

ولا إِلَى أَجْسَادِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ) .

كَمَا قَالَ كَذَلِكَ : (يَجْمَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ
لِلْحِسَابِ ، فَيَجِيءُ فَقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ ، يَزِفُونَ كَمَا يَزِفُ
الْحَمَامُ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : قِفُوا لِلْحِسَابِ . فَيَقُولُونَ : مَا
كَانَ لَنَا شَيْءٌ نَحَاسِبُ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ : صَدَقَ
عِبَادِي . فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ) .

لَا تَخْلَى زِينَةً عَنْ تَكْبِيرِهَا وَتَقُولُ مُسْتَكْرَةً : سَيِّدَةُ
هَذِهِ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَبْلِي ؟ يَا لَلْمَهْزَلَةِ !

اشْتَدَّ غَضَبُ أُمِّهَا وَقَالَتْ : كَفَى يَا زَيْنَةُ ، فَحَدِيثُكَ
يَبْعَثُ عَلَى الْاَشْمِئَازِ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ أَحَدَ صَحَابَةِ
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ
كَانَتْ تَأْتِيهِ الْأَمْوَالُ ، فَيَتَخَلَّصُ مِنْهَا بِأَسْرَعِ مَا يُمَكِّنُ ،
لِيُحْشَرَ مَعَ الْفُقَرَاءِ ؟

قَالَتْ فَرَحَ : كَيْفَ يَا أُمِّي ؟ احْكِي لَنَا حِكَايَتَهُ .

قالت أمُّها : كانَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ — قبلَ إسلامِهِ —
يَقِفُ معَ الآلافِ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا لِيُشَاهِدُوا مَظَاهِرَ إِعْدَامِ
الْأَسِيرِ خَبِيبِ بْنِ عَدِيٍّ ، الَّذِي قَاسَى مِنْ آلامِ التَّعْذِيبِ
مَا لَا يَحْتَمِلُهُ بَشَرٌ . فَقَابَلَ ذَلِكَ بِصُمُودٍ وَثَبَاتٍ يَدُلُّانِ
عَلَى إِيمَانٍ رَاسِخٍ ، وَعَقِيدَةٍ لَا تَتَزَعَّزَعُ . وَرَأَى سَعِيدُ بْنُ
عَامِرٍ خَبِيبًا وَهُوَ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ لِلَّهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ، وَيَقُولُ
صَامِدًا : « وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ آمِنًا فِي أَهْلِي
وَوَلَدِي ، وَأَنْ مُحَمَّدًا يُوحِزُ بِشَوْكَةِ » .

وَيُؤَثِّرُ الْمَشْهَدُ فِي الْفَتَى الْيَافِعِ ، لِيُطَارِدَهُ فِي النَّوْمِ
وَالْيَقَظَةِ ، وَيُفَكِّرُ فِيهِ كَثِيرًا ، حَتَّى يَصِلَ أَخِيرًا إِلَى بَرٍّ
الْأَمَانِ ، وَيُعْلِنَ إِسْلَامَهُ .

وَهَاجَرَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَشَارَكَ فِي غَزْوَةِ
خَيْبَرَ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ غَزَوَاتٍ .

وفى عهد الخليفة عُمر بن الخطّاب ، أرسله وإليّا
على الشام ، وكانت الشام غنيّة بالثروات والخيرات ،
فيها الأنهار الجارية ، والمزارع الشاسعة ، والخضرة
الوارفة ، والتجارة الرانجة .

قالت زينة فى استنكار : وإليّا على كلّ تلك النعم
وفقر؟ أنا لا أكادُ أصدّق .

قالت أمّها : نعم يا زينة فقير . اسمعى لتعرفى كيف
كانت حياته ، وماذا كان يملك .

حاول سعيد بن عامر أن يتملّص ويرفض الولاية ،
وقال إنّها فتنةٌ تلهيه عن العبادة ، ولكنّ الخليفة عُمر
رفض عُذره ، وقال : كيف تُريدوننى أميراً عليكم ، من
غير أن تُعاونونى على الإمارة ؟

وقبل سعيد مضطراً ، واضطحب معه عروسه
وكانت تتمتع بجمال فتان . وأعطاه الخليفة بعض

الأموال لِيَشْتَرِيَ مِنْهَا مَا يَلْزَمُهُمَا مِنْ أَثَاثٍ وَمَلَابِسٍ .
وفى الشَّامِ تَقَرَّحُ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ أَنْ يَشْتَرِيَ مَا يَلْزَمُهُمَا
مِنْ أَثَاثٍ وَيَدَّخِرَ الْبَاقَى . فَيَعْرِضُ سَعِيدٌ عَلَيْهَا أَنْ
يَشْتَرِيَ لَوَازِمَهُمَا الضَّرُورِيَّةَ فَقَطْ ، وَيَسْتَشِيرَ الْبَاقَى فِي
التَّجَارَةِ .

قالت زينة : آه ! ها هُوَذَا تَأْثُرُ بِالنَّعَمِ الَّتِي تُحِيطُ
بِهِ ، وَفَكَرَ فِي جَنَى الْمَكَاسِبِ !
ابْتَسَمَتْ أُمُّهَا وَقَالَتْ : فَلْنَرِ ! أَخَذَ سَعِيدٌ الْمَبْلَغَ
الْمُتَبَقَّى لِيَسْتَشِيرَهُ فِي التَّجَارَةِ .

وَكَلَّمَا سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ عَنِ الْأَمْوَالِ وَالْمَكَاسِبِ ،
طَمَأَنَّاها قَائِلًا لَهَا : إِنَّهَا فِي ازْدِيَادٍ . إِلَى أَنْ كَانَ
عِنْدَهُمَا فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ زَائِرٌ قَرِيبٌ لَهُمَا ، يَعْرِفُ
حِكَايَةَ الْأَمْوَالِ . وَسَأَلَتْهُ الزَّوْجَةُ عَنْ حَالِ التَّجَارَةِ ،
فَضَحِكَ الضَّيْفُ مِمَّا أَثَارَ الشَّكَّ فِي نَفْسِ الزَّوْجَةِ ،
وَأَصْرَتْ أَنْ تَعْرِفَ الْحَقِيقَةَ . فَأَخْبَرَهَا الضَّيْفُ أَنَّ
سَعِيدًا قَدْ تَصَدَّقَ بِكُلِّ الْمَالِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ .

فَغَضِبَتِ الزَّوْجَةَ ، وَبَكَتْ عَلَى حَالِهَا ، فَلَا هِيَ
اشْتَرَتْ بِالْمَالِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَلَا هِيَ ادَّخَرَتْهُ لِنَفْعِهَا .
وَقَالَ لَهَا سَعِيدٌ : اعْلَمِي يَا زَوْجَتِي الْعَزِيزَةُ ، أَنَّ فِي
الْجَنَّةِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَالْخَيْرَاتِ الْحِسَانِ ، مَا لَوْ أَطَّلَتْ
وَاحِدَةً مِنْهُنَّ عَلَى الْأَرْضِ ، لَأَضَاءَتْهَا جَمِيعًا ، فَلَنْ
أُضْحِيَ بِهِنَّ مِنْ أَجْلِكَ .

فَسَكَتَتْ زَوْجُهُ ، وَعَرَفَتْ أَنَّ لَا مَفَرَّ لَهَا مِنَ السَّيْرِ
مَعَهُ فِي طَرِيقِ الزُّهْدِ وَالتَّقَشُّفِ .

قَالَتْ فَرَحٌ : وَلِمَاذَا قَالَ لَهَا إِنَّهُ يُتَاجَرُ بِالْمَالِ ؟
قَالَتْ أُمُّهَا : إِنَّهُ تَاجَرَ بِالْمَالِ فِعْلًا ، وَلَكِنْ مَعَ اللَّهِ
تَعَالَى .

اذْكُرِي الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ فِيهَا : ﴿ مَثَلُ
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَ

سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ
لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .

* * *

وطلبَ الخليفةُ عُمرُ بنُ الخطابِ من بعضِ رجاله ،
أن يكتُبوا له أسماءَ الفقراءِ بالشَّامِ ، لِيُعْطِيَهُمْ مِنْ بَيْتِ
المالِ . وعِنْدَمَا قرَأَ الخليفةُ اسمَ سَعِيدِ بنِ عامِرٍ ضَمِنَ
أَسْمَاءَ الفقراءِ ، سَأَلَ :

— ومن سَعِيدُ بنُ عامِرٍ هَذَا ؟

قالوا : أَمِيرُنَا .

فاسْتَعْرَبَ الخليفةُ وقال : أَمِيرُكُمْ فَقِيرٌ ؟

قالوا : نَعَمْ ، وواللهِ إِنَّهُ لَتَمُرُّ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ الطُّوَالُ ،
وَلَا يَوْقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ .

فَبَكَى الخليفةُ عُمرُ عَلَى حَالِ سَعِيدٍ ، وَطَلَبَ أَنْ

يُرْسَلُ إِلَيْهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ حَاجَاتِهِ ،
وَإِصْلَاحِ حَالِهِ .

فَعِنْدَمَا رَأَى سَعِيدُ الْأَمْوَالِ عِنْدَهُ ، وَلَوْلَ وَقَالَ :
« إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » .

فَسَأَلَتْهُ زَوْجُهُ : مَاذَا أَصَابَكَ ، أَحَدَثَ مَا يَضُرُّ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ؟ أَحَدَثَ مَكْرُوهٌ لِلْمُسْلِمِينَ ؟

فَبَادَرَهَا بِقَوْلِهِ : دَخَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا لَتُفْسِدَ عَلَيَّ
آخِرَتِي ، وَحَلَّتِ الْفِتْنَةُ الْآنَ فِي بَيْتِي .

قَالَتْ زَيْنَةُ : وَمَاذَا كَانَ يَقْصِدُ ؟

قَالَتْ أُمُّهَا : لَقَدْ خَافَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ، أَنْ تَشْغَلَهُ
مَفَاتِنُ الدُّنْيَا وَنَعِيمُهَا ، عَنْ الْآخِرَةِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ ، فَكَأَنَّمَا حَلَّتْ بِهِ مُصِيبَةٌ .

قَالَتْ زَيْنَةُ : مُصِيبَةٌ ! أَصْبَحَ الْمَالُ مُصِيبَةً ؟

قَالَتْ أُمُّهَا : وَسَرَعَانَ مَا أَخَذَ سَعِيدُ الدَّنَانِيرِ ، وَفَرَّقَهَا
عَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ .

قَالَتْ فَرَحَ : وَلَمْ يَتْرُكْ لِنَفْسِهِ بَعْضَهَا ؟

قَالَتْ أُمُّهَا : وَلَا دِرْهَمًا وَاحِدًا .

* * *

وَحَدَّثَ أَنَّ زَارَ الْخَلِيفَةَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ الشَّامَ ،
وَسَأَلَ النَّاسَ عَنْ أَحْوَالِهِمْ وَأَحْوَالِ أَمِيرِهِمْ مَعَهُمْ .
فَاجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى جُحِّهِمْ لِسَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ ، إِلَّا أَنَّ
بَعْضَ الْمُتَذَمَّرِينَ شَكُوا مِنْهُ فِي أَرْبَعِ خِصَالٍ ، هِيَ أَنَّهُ :
لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّى يَتَعَالَى النَّهَارَ .

وَلَا يُجِيبُ أَحَدًا فِي اللَّيْلِ .

وَلَهُ فِي الشَّهْرِ يَوْمَانِ لَا يَخْرُجُ فِيهِمَا إِلَيْنَا فَلَا نَرَاهُ .
وَالْآخِرَةُ أَنَّهُ تَأْخُذُهُ إِغْمَاءَةٌ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ .

وطلبَ منه عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يَرُدَّ عَلَى هَذِهِ
الِاتِّهَامَاتِ ، فَرَدَّ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ :

أَمَّا أَنَّهُ يَتَأَخَّرُ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ صَبَاحًا ، فَلَأَنَّهُ
لَا خَادِمَ لَهُ فَكَانَ يِعَاوُنُ أَهْلَ بَيْتِهِ فِي الْعَجِينَ وَالْخَبِيزِ ،
ثُمَّ يُصَلِّي الضُّحَا ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ .

أَمَّا أَنَّهُ لَا يُجِيبُ أَحَدًا فِي اللَّيْلِ ، فَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَصَّ
اللَّيْلَ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّضَرُّعِ لِلَّهِ .

أَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ يَوْمَيْنِ كُلِّ شَهْرٍ ، فَقَدْ
رَدَّ عَلَى اسْتِحْيَاءِ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ إِلَّا ثَوْبًا وَاحِدًا ، فَيَغْسِلُهُ
وَيَنْتَظِرُ حَتَّى يَجِفَّ لِيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ .

أَمَّا الْإِغْمَاءُ ، فَبِسَبَبِ رُؤْيَيْهِ مَشْهَدَ إِعْدَامِ خَبِيبِ بْنِ
عَدِيٍّ ، وَمَا لَقِيَهُ مِنْ تَعْذِيبٍ ، فَيَخَافُ أَنْ يَنَالَهُ عَذَابُ
اللَّهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَوْمَهَا مِنَ الْكُفَّارِ .

قَالَتْ زَيْنَةُ : أَلِهَذِهِ الدَّرَجَةُ كَانَ فَقِيرًا ؟

قَالَتْ أُمُّهَا : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ يَا زَيْنَةَ ، أَنَّهُ كَانَ دَائِمًا
حَرِيصًا أَنْ يُحْشَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْفُقَرَاءِ ؟

* * *

وَنَعُودُ لِلْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَنَرَى فَرْحَتَهُ
وَسَعَادَتَهُ لَتَوْفِيقِهِ فِي اخْتِيَارِ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ ، وَالْيَا عَلَى
الشَّامِ ، فَقَالَ :

- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُخَيِّبْ فِرَاسَتِي .
وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ أُخْرَى ، لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى
قَضَاءِ حَاجَاتِهِ . فَفَرِحَتْ زَوْجُ سَعِيدٍ ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ شِرَاءَ
بَعْضِ الْمُؤْنِ ، وَاسْتَنْجَارَ خَادِمٍ لَتُعَاوَنَهُمْ .
وَلَكِنَّ سَعِيدًا يَقُولُ لَهَا : نَدْفَعُ الْأَلْفَ دِينَارٍ إِلَى مَنْ
يَأْتِينَا بِهَا ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ إِلَيْهَا .
فَتَسْأَلُ : وَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ : نُقْرِضُهَا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا .

وكانَ مَصِيرُ الألفِ دينارٍ كَمَصِيرِ ما قَبَلُها ، ووُزِّعَتْ
على اليَتامى والأراملِ والمُحتاجين .
قالت فرح : إنَّها قِصَّةُ رَجُلٍ يَكْرَهُ المالَ ويُحِبُّ
الفَقْرَ .

قالت أمُّها : كانَ يَقولُ دائِماً : كانَ لى أصحابُ
سَبَقونى إلى الله ، وما أَحَبُّ أنْ أنَحْرِفَ عَنْ طَرِيقِهِمْ ،
ولو كانتْ لى الدُّنيا وما فيها .

* * *

وفى السَّنَةِ العِشرينَ مِنَ الهِجْرَةِ ، لَقِيَ سَعِيدٌ رَبَّهُ ،
وهو لا يَمْلِكُ إلاَّ قَلْباً يَنْبِضُ بِالإيمانِ ، وشَوْقاً لِللقاءِ
الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولِقاءِ مَنْ سَبَقوه مِنَ
الصَّحابةِ فى جَنَّةِ الخُلدِ يا ذنَّ الله .

قالت فرح : يا للزُّهدِ والوَرَعِ والبِساطَةِ !

قالت أمها : والآن بعد أن سمعتهما قصّة سعيد بن عامر ، أرجو أن تتغيّر نظرتكما إلى سيّدة ، فالفقر كما رأيتهما لا يعيب صاحبه ، والأرزاق بيد الله تعالى ، يرزق من يشاء ، ويمنع عمن يشاء ، واستمرار الحال من المحال ، فمن يدري بما تأتي به الأيام ؟

قالت زينة : آسفة يا أمي ، وأعتقد أنّي كنتُ مخطئةً في حكمي على سيّدة ، فهي كما قلت عنها بنتٌ نظيفةٌ مَهْدَبَةٌ .

قالت فرح : هيا بنا يا زينة ، لنلعب مع صديقاتنا في الحديقة ، حتّى يعود أبونا من عمله .